



السوق الشرق أوسطيه مشروع عمره نصف قرن د. رءوف عباس

الأربعاء، 17 أكتوبر 1993

أثار مشروع السوق الشرق أوسطيه الذى طرح فى إطار تسوية شاملة لقضية الشرق الأوسط قلق الأوساط الوطنية الحريصة على الحفاظ على الإستقلال الوطنى ، وذلك على اختلاف توجهاتها ومنطلقاتها السياسية ، فقد رأوا فيه بحق ريبا أديبا للإقتصاد العربى بالإقتصاد الغربى ، وفتحا لباب الهيمنة الإسرائيلية على اقتصاديات البلاد العربية ، وخاصة أن طرح الفكرة جاء فى إطار ما سمي بالتعاون الإقتصادى بين دول المنطقة بما فيها إسرائيل ، وأن التصريحات التى أدلى بها مسئولو إسرائيل والولايات المتحدة عشية توقيع اتفاق المبادئ الفلسطينى - الإسرائيلى تضمنت إشارة ضمنية أحيانا ، وصريحة أحيانا أخرى ، عن مستقبل التعاون الإقتصادى بين دول المنطقة ، والدور الذى يمكن أن تلعبه إسرائيل فى هذا الإطار ، وهو ما أكده أيضا مسئولون مصريون .

وقد تناولت الأعلام مشروع السوق الشرق أوسطيه من مختلف زواياه ، فأطلق البعض البخور وبشرنا بأنهار العسل واللبن التى ستجرى إذا أقيم المشروع ، وأطلق البعض الآخر نواقيس الخطر محذرا من العواقب الوخيمة للمشروع باعتباره وجها جديدا للإمبريالية فى حقبة ما سمي بـ " النظام العالمى الجديد " .

والحق أن المشروع قديم ، ظل محفوظا فى ثلاجة الصهيونية نصف قرن من الزمان ، وقدم - لأول مرة - فى 18 نوفمبر 1943 فى اجتماع عقد بين ممثلين للخارجية البريطانية وممثلين للخارجية الأمريكية ، بمقر الخارجية البريطانية بلندن للتباحث حول تسوية خاصة بالشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الثانية تضمن مصالح البلدين فى المنطقة ، وتضمن استمرار الهيمنة الغربية عليها . وعندما تطرق الحديث إلى مستقبل فلسطين أصر الجانب الأمريكى على ضرورة أن تتضمن اتفاقات السلام عند نهاية الحرب قرارا بإقامة دولة إسرائيل على أرض فلسطين ، فإذا تعذر إقناع العرب بذلك وجب تقسيم فلسطين إلى دولتين إحداهما يهودية والأخرى عربية .

وأكد الجانب الأمريكى أن وجود دولة يهودية فى فلسطين يمثل حجر الزاوية فى مشروعات الغرب الخاصة بالتنمية فى الشرق الأوسط لتحقيق درجة من الرخاء الإقتصادى تسمح بالحفاظ على المنطقة تحت جناح الغرب ، وهنا قدم الجانب الأمريكى مذكرة بالمشروع المقترح للتنمية الإقتصادية لبلاد الشرق الأوسط أعده الدكتور أرنتست برجمان ، وهو يهودى صهيونى كان تلميذا لحاييم وايزمان ، عاش فى فلسطين ، ثم انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1942 ليعمل باحثا كيميائيا فى إنتاج المطاط الصناعى بانديانا ، وعرف بصلاته الوثيقة بالعديد من الدوائر الحكومية والعسكرية الأمريكية لمشروعه الذى تناول المستقبل الإقتصادى للشرق الأوسط بعد الحرب الثانية .

وتمثل فلسطين (الصهيونية) محور خطة برجمان ، فرأى أن هجرة اليهود ذوى الخبرات الصناعية والتقنية إلى فلسطين سوف تحولها إلى قلعة صناعية حديثة تخصص فى الصناعة القائمة على ما يتوفر فى بلاد الشرق الأوسط ، من إيران حتى قبرص ، ومن تركيا حتى بحر العرب ، من مواد خام او محاصيل زراعية ، على أن تتحول بلاد الشرق الأوسط كلها إلى سوق مشتركة تصب خاماتها فى فلسطين وتستهلك إنتاج الصناعة اليهودية .

ويضمن تقرير برجمان دراسة تفصيلية للمواد الخام المتاحة بالمنطقة ومصادر الطاقة ، بما فى ذلك استغلال أنهار سوريا ولبنان فى توليد الطاقة الكهربائية اللازمة للصناعة اليهودية فى فلسطين.

كذلك أشار التقرير إلى إمكانية فتح آفاق لاستثمار رؤوس الأموال الغربية عامة واليهودية خاصة فى مشروع إقامة محطات الكهرباء فى سوريا ولبنان ومشروع ضخخ لاستصلاح الأراضى فى العراق والتوسع فى إنتاج القمح باستخدام مائة الرافدين ، وإدخال الأساليب العلمية الرأسمالية فى الزراعة فى بلاد المنطقة وإنتاج المخصبات الصناعية والتوسع فى إستخدامها .

كما اشتمل تقرير برجمان على دراسة للصناعة اليهودية فى فلسطين وإمكانيات تحويلها إلى صناعة تستخدم ما تنتجه بلاد المنطقة من مواد خام ومحاصيل زراعية على نطاق واسع وكذلك دور الدولة اليهودية فى التنسيق الإقتصادى وتدوير الإستثمارات فى المنطقة .

وبعد .. أليس ما يطرح علينا الآن إعادة صياغة لمشروع برجمان ؟ لقد حرص الجانب البريطاني في المفاوضات على لفت أنظار الجانب الأمريكي إلى أن مثل هذه الخطة لا يمكن أن تتحقق إلا إذا قبل العرب بوجود الدولة اليهودية ، وطلبوا أرجاء بحث المشروع حتى ينجلى الموقف .

ترى .. هل آن الأوان لتحقيق حلم الصهيونية بالهيمنة على المنطقة لمصلحتها وحدها هذه المرة ، وخاصة أن العرب جميعا رفعوا الرايات البيضاء ؟ وهل سيظل العرب عاجزين عن طرح استراتيجية مضادة لاستراتيجية صهيونية عمرها نصف القرن ؟

لقد حققت الصهيونية استراتيجيتها التي رسمتها في مؤتمر بال قبل أن ينصرم القرن الماضي ، وهامى تمضى في تحقيق استراتيجيتها للسيطرة على الاقتصاد العربي ، فهل نكتفى هذه المرة بالندب والنحيب ؟!! ام نضع استراتيجية تنموية عربية تخرجنا من فخ الصهيونية؟